

المثل الاعلى

إذا أردت أن تشرع في رحلة الى الاقصر مثلاً وضعت لها صورة في ذهنك تتمثل أمامك وغاية لاجلها تعمل ثم ترسم الخطة العملية لتنفيذ ما عزمته عليه مستملياً من تلك الصورة ما يجعل الرسم موافقاً لتلك الغاية التي تريدها وإذا شئت أن تؤلف كتاباً فانك تتخيل له صورة عامة من بدئه الى منتهاه وتتمثل أمامك أبوابه وفصوله قبل أن تشرع في بناء هيكله . كما تحدد الغاية التي من أجلها تعمله وتبين جهته العلمية أو الخلقية أو الفنية . بعد كل هذا تشرع في تنفيذ ما عزمته عليه .

هكذا شأن الانسان في حياته يجب أن تكون لديه صورة مرسومة وخطة كاملة وغاية واضحة لما يود أن يكون عليه في حياته المستقبلية . وهذه الغاية هي التي كثيراً ما يعرض للانسان أن يسأل نفسه عنها فيقول ماذا ينبغي أن أكون هذه الغاية أو تلك الصورة الذهنية هي التي يسميها علماء

الاخلاق المحدثون (المثل الاعلى)

بهذا المثل يفرق الانسان عن الحيوان فانه دائم الرقى
يوجد للوصول الى غاية كلما قرب منها وجد أنها لا تقى بطلبته :
وللوصول الى هذا المثل يجد ويكد . وأعماله فى الحياة
تدل عليه

بخلاف الحيوان فانه يعيش على نمط واحد فمعيشته
اليوم هى معيسته أيام أطواره الاولى مجموعة غرائز والهامات
يسير على سننها فبيوت النمل قديما هى بيوتها اليوم بشكلها
المسدسى

المثل الاعلى للفرد

أهم العوامل فى تكوين المثل الاعلى للفرد ما يحيط
به من صفات موروثه وصفات مكتسبة من المنزل والمدرسة
والدين والعادات القومية . فاذن ما يرثه من أبويه من شجاعة
أوجبن وهمة أو خمول لها دخل كبير فى تحديد المثل الاعلى له
كما أن ما يتلقنه فى المنزل من الاحاديث التى يسمعها
والنظام الذى يسير عليه فى معيسته وما يراه فى المدرسة ويقرؤه

من كتب سير الابطال وعظماء الرجال وما يسمعه من دروس
الاساتذة له أكبر الاثر في ذلك

ولا تنس عامل الدين في تكوينه بما يحويه من آداب
وما يرسمه من أوضاع ينبغي أن نحتذيها في حياتنا الدنيا لنصل
بها الى خير المقبي في حياتنا الأخرى

وهذا المثل قابل للتجدد والنمو بين حين وآخر كلما جد
عامل جديد فسيرة بطل عظيم نقرأها أو نشاء على عمل
جليل نسمعه قد تغيره تغيرا كثيرا

وليس هناك من شك في أن النشر في مبدأ حياتهم
يميلون الى قراءة قصص الابطال وعجيب الحوادث . مما
يساعد على نمو المثل لديهم ويزداد ذلك وضوحا اذا خرجوا
الى معترك الحياة وتبادلوا الاخذ والاعطاء . وكلما اتسع نظر
الإنسان في الحياة وحصف عقله كمل المثل وتمت أجزاؤه

وبضد هذا قد ينقص المثل ويضيق فالصناع والعمال الذين
يألفون نوعا محدودا من العمل ثم هم لا يوسعون مداركهم
العقلية يضيق مثلهم وينحصر أملهم وفي هذا من الخطر الشيء

الكثير لأنه يقلل من نشاط العامل ويجعل حكمه غالبا أقرب
الى الخطأ منه الى الصواب وبالعكس كلما اتسع المثل بعث في
الانسان نشاطا جديدا وأحب العمل وصار حكمه على الاشياء
أقرب الى الصواب . اذ نقد العمل وتحسينه أو تقييده يكون
بمقياس ما عنده من مثل

المثل الاعلى للمجموع

يتأثر المثل الاعلى للمجموع بعوامل مختلفة فيتأثر بسعة
المدارك وضيقها فالمثل الاعلى الذى يتصوره المجموع فى بلاد
متأخرة لا يكون مماثلا لما يريد أن يحتذيه المجموع فى بلاد
متحضرة فكلمات رقيت الامة تغير فيها المثل الاعلى للجماعة
واعتبر ذلك بما تراه من شاسع البون فيما يود شعب متأخر
أن تكون عليه حال حكومته وسبل نظمها وأوضاعها بينما
ترى أن هذا المثل لا يرتضيه بحال شعب أرقى مدنية وأعرق
حضارة

كما يتغير أيضا بالعرف والعادة فان لها سلطانا

كبيراً فيما تريد الجماعة أن تجعله نبراساً لها في حياتها العملية:
والعامل الديني ليس أقل شأنًا مما تقدم في اختلاف المثل
للأمم والشعوب

الحقوق والواجبات

يفرق علماء الأخلاق بين الحق والواجب فيقولون
(١) كل شيء لا يصح لغيرك أن يعترضك إذا تصرفت
فيه فهو حق

(٢) كل شيء يجب عليك أن تعمله فهو واجب
وهما لا يفترقان بل هما متلازمان إذ كل حق يلزمه واجب
بل واجبات ألا ترى أن من يملك حصاناً فله حق ركوبه
والإنتفاع به بكل الطرق الممكنة وعلى الناس ألا يتعدوا عليه
فيسرقوه أو يغصبوه أو يمنعوه من ركوبه . فإن حصل ذلك
كان للقانون حق التدخل وحماية هذا الحق برد الحصان
أو تعويضه من منع الاستعمال . كما أن على المالك ألا يسيء
استعمال حقه بل عليه أن يجعل فيه منفعة للناس فإن لم يفعل ذلك

لم يكن للقانون حق التدخل ولكن تحته الاخلاق وتقول
ليس لك أن تتصرف في ملكك الا فيما يفيد غيرك

أهم الحقوق

الحقوق قسمان (١) حقوق طبيعية مُنحها الانسان بمقتضى
الفطرة لا القانون كحق الحياة مثلاً أو حق الحرية أو حق
الملك وحق الترتي

(٢) حق خوله إياه القانون كحق الشفعة فيما بجواره
من ملك غيره اذا بيع . وحق الانتفاع بالمرهون على بعض
الآراء

من الحرية

الحرية أن تعمل ما تريد على شريطة ألا تضر غيرك
ولها أنواع كثيرة أهمها مايلي :

(١) الحرية مقابل الاسترقاق فيقال هذا حر وذاك
رقيق . وقد ألغت الامم المتمدينة الرق لانه سلب لحق طبيعى

لكل انسان . ولأنه لا يستطيع الشخص أن يقرر شؤونه
بنفسه الا اذا كان حرا

(٢) حرية الامم. ويُعنى بها ألا تخضع الامة لحكم الاجنبى
بل تكون مستقلة فى جميع مرافق حياتها . وهذا حق تمن
اليه الامة كما يمن الفرد ويود أن يكون سيد نفسه . ولا تحس
الامة بما لها من كيان خاص ولا تنهض وتجد فى نيل كمالها
الا اذا كانت تدير شؤونها وحدها

(٣) الحرية المدنية . وهى أن يأمن الشخص من تعدى
غيره عليه أو على ملكه قوة واقتدارا . ويدخل فيها
(١) حرية الرأى فيكون لكل شخص حق الحكم على الاشياء
بحسب ما يعتقد وان خالف رأى غيره ثم ينجلي بعدئذ الحق
ويتغلب على الباطل (٢) حرية الاجتماع والخطابة الا اذا
أدى ذلك الى الضرر بالمصلحة العامة (٣) حرية الصحافة
بحيث لا تتقيد بشيء الا بالقانون العام اذا الصحافة حلقة الاتصال
بين الحاكمين والمحكومين فيستفيد الطرفان بما فيها من الآراء
(٤) الحرية السياسية . وبها يكون للانسان الحق فى أن

أخذ قسطا في حكومة بلاده بالتصويت والانتخاب. وحينئذ يكون ممثلوهم أصحاب التشريع فيها. وبدون هذا يأمنون من استبداد فردا أو أفراد بهم يشرعون لهم كما شاءت أهواؤهم

من الملك

حق الملكية جزء متمم لحق الحرية اذ لا يستطيع الانسان أن يرقى الا اذا ملك الوسائل والآلات التي توصله الى ذلك. والداعي اليه أن للناس رغبات شتى وما يوجد على ظهر البسيطة لا يكفي لسد هذه الرغبات فيسارع كل الى الحصول على ما يمكنه منها وتزاحم الرغبات ومن هنا نشأ الملك ووجب على الناس احترام هذا الحق بعدم التعدي بسرقة أو غصبه ووجب عليه أن يستعمله أحسن استعمال الملك قسمان (١) خاص كأن تملك بستانا أو سيارة

(٢) عام (ملك الحكومة) كدار الآثار والسكة الحديدية والاول أدعى الى العناية به وعدم التبذير فيه. الا ترى أن من الخير أن تكون ملابسك ملكا لك حتى تعني بها حق العناية

والثاني أننى للاحتكار واستبداد فرد أو أفراد به فلو
كانت دار الكتب ملكا لبعض الناس لفرضوا من فادح
الاتاوات ما يثقل على الكثير حمله

من التربية

التربى مظهر من مظاهر الحرية فلكل إنسان حق أن يتمتع
به بقدر استعداده وكفاءته . فكلنا عليم بأن الجهل اذا فشا
فى أمة أثر فى جميع مرافقها اقتصاديا وصحيا واجتماعيا وسياسيا
الا تراك تجد المتعلم يستطيع أن يكون اساليب معيشته
وينظم حياته على تسنن لا يمكن الجاهل أن يجاريه فيها وهو
أيضا يقدر على الكسب بطرق شتى لا تدخل فى مقدور الجاهل
وعكس هذا اذا انتشر الجهل فى أمة كثر فيها الفقر
والشر والاجرام

ومن ثم نجد المرأة المتعلمة تنظم بيتها وتدير مختلف شئونه
وتربى أولادها صحيا وخلقيا بحالة لا تقدر الجاهلة أن تفعل مثلها
ويجب على حكومة كل شعب أن تهىء الوسائل وتعد

العدة التي بها يستطيع كل فرد أن يأخذ قسطا من التريية
فيكون عضوا عاملا في المجتمع يعلم ماله من حقوق وعليه
من واجبات وللوصول الى ذلك جعل كثير من الحكومات
التعليم الابتدائي جبريا مجانيا وأعد المعلمين الا كفاء للقيام
بهذه المهمة الشاقة وساعدها على ذلك أهل البر والخير
بتبرعاتهم المختلفة لنشر العلم

الواجب

الواجب هو عمل خلقى يحث على فعله الوجدان والضمير.
وطورا يقسم الى

(١) واجب على الشخص لنفسه كعدم إجهاد النفس في
العمل وكالقناعة

(ب) واجب اجتماعى كالا حسان الى البائسين والعدل
في الحكم

(ج) واجب لله باتباع الاوامر وترك النواهي
وفي الحقيقة نرى أن هذه الاقسام قد يتدخل بعضها

فى بعض فالنظامفة مثلاً و جب شخصى يفيد البدن صحة
و واجب اجتماعى من حيث ان صحة الشخص تؤثر فى المجتمع
و واجب إلهى لانها اتباع لما أمر به الله
وتارة يقسمونه الى

(١) واجبات معينة محدودة يكلف بها الناس جميعا بلا
تفرقة ولا تمييز وعليها يتوقف بقاء نظام المجتمع ومن ثم توضع
لها أحكام فى قانون الامة وتحت عليها الاخلاق كعدم التعدى
على النفس أو المال

(٢) واجبات غير معينة ولا محدودة ولا يمكن وضعها فى
قانون كالا حسان الى بنى الوطن أو الى الناس جميعا ألا ترى
ان هذا يختلف بحسب الزمان والمكان والحال الداعية وعلى
هذا النوع يتوقف رقى المجتمعات ورفاهيتها

ومن البين ان الواجبات تختلف بحسب الثروات من
فقر وغنى وبحسب العمل فواجب القاضى غير واجب الحداد
وبحسب الرتبة فما يجب على أمير غير ما يجب على أحد الرعايا.

أراء الواجب

على الانسان أن يؤدي الواجب إطاعة لوجدانه لا طمعا
في ربح ولا رغبة في شهرة يحصل عليها ويكون ذلك مثله
الاعلى حتى يبلغ به الحد الى أن يسر بخير الناس كما يسر
بالخير لنفسه والى ذلك يشير أبو العلاء .

فلا هطلت على ولا بأرضى سحائب ليس تنتظم البلادا
وكثيرا ما يحوجه ذلك الى بذل المجهود ويطلب منه كثيرا
من التضحية وعليه أن يتقبلها مسرورا . أترك تجد القاضى
العدل قد يحكم على قريبه أو صديقه فيألم لذلك . والجندى
بجعل حياته فداء وطنه وأمته . وتمسك ذى الرأى برأيه قد
يحرمه بعض القوائد

ولكن ينبغى أن يوازن بين أداء الواجب والتضحية
فاذا قنع بخيرية الثانية وجبت عليه لانه عضو من جسم الامة
وليس من الخير ان يستأثر باللذة بينا غيره فى تعب ونصب
وكلما نبيل المقصد كانت التضحية أوجب فاننا ترى الامم تضخى

بأعز أبنائها دفاعا عن كيائها وحفظا لاستقلالها ولا تستكثر
في سبيل ذلك بذلا

ولا نرى عظيما من عظماء الرجال الا أودى في سبيل
أداء الواجب وضعي لذلك كثيرا وهذا هو سر عظمتهم كمن
يسمى في نشر مذهب يخالف فيه الرأي العام أو يحارب عدوا
يريد اذلال أمته أو تخليص عقائد الدين مما لصق به من
الاهام والخرافات

فهم يكدحون ويمجدون ويقاومون كثيرا من العقبات
ويتعودون الصبر على المشاق لينالوا أغراضهم . ولن تجد من
يخلد للدعة ويستمرى حلو العيش عظيما

واجب الانسان لنفسه

يجب على الانسان أن يحافظ على صحة جسمه بتنظيم ما كله
ومشربه ونظافة ملبسه ومسكنه حتى يكون موافقا للشرائط
الصحية مع استعمال الرياضة الجسدية اذ بدون ذلك لا تنهأ له

معيشة ولا تم له سعادة ولا يكمل له عقل فقد أثر عن بعض الحكماء (العقل السليم في الجسم السليم)

نم هو بعد في احتياج الى ما يشق عقله كما أثر عن كسرى أنو شروان انه قال (القلوب تحتاج الى أقواتها من الحكمة كاحتياج الابدان الى أقواتها من الغذاء) ويحصل من العلوم والمعارف ما يؤهل له لأن يكون عضوا نافعا في أمته فيقدم منها ما هو شديد الحاجة الى معرفته اذ العلم أكثر من أن يؤتى على آخره فليأخذ من كل شيء أحسنه - كما هو في حاجة الى تهذيب خلقه وتجميل طباعه وتحليه بحلى الفضائل وبعده عن النقائص التي تشينه وتثلم شرفه

فاذا كبر زج بنفسه في معترك الحياة وسعى حثيثا وأفرغ قصارى جهده في طلب الرزق بما قد أعد من العدة في صغره من أنواع الحرف والصناعات كزراعة أو تجارة أو طب أو هندسة إلى نحو من هذا . خالما رداء العكسل والأمانى الكاذبة وراءه ظهريا (إن الأمانى والاحلام تضليل)

واجب الاسرة

نشاهد أن ألم عضو في الجسم يؤلم الجسم كله فمكذلك الاسرة التي تتكون عادة من أبوين وأولاد وذوى قرابتهم يتأثر سائرهما بما يصيب أحدها وفيها يعتمد كل فرد على الباقيين فكاهم يخدم الفرد والفرد يخدمهم ألا ترى أن الابناء يعتمدون على الآباء في مآكلهم ومشربهم وملابسهم ونظافتهم وتعليمهم الى نحو من هذا - كما يتكفل الآباء على أولادهم إذا كبروا ومست الى ذلك داعية الحاجة جزاء ما بذلوه من الجهد والمشقة في تكوينهم حتى صاروا رجالا قادرين على الكفاح في هذه الحياة - وكم يجدون من السعادة اذا شعروا بمحبة الابناء لهم وحنانهم اليهم حتى لكأنهم يسمعون نغمة الموسيقى في كلمة تدل على اعتراف بالجميل صادرة من الابن لأبيه أو أمه

وليست هذه الحال غير حال الأولاد بعضهم مع بعض فترى الطفل في الاسرة يؤثر في الباقيين ويتأثر بهم فيشاركونهم

في أفراحهم وأحزانهم ويعرف أن القوى يجب أن يعين
الضعيف والكبير يجب أن يعين الصغير وكل من في استطاعته
أن يمد يد المعونة الى الباقيين فليفعلها . وكذلك الولد سىء
الاخلاق في الاسرة يحرمها كلها سعادتها والاب المقامر
أو السكير يضايق الاسرة كلها بما يصرفه من مال واهمال
لشؤون بيته . والام الجاهلة يؤثر جهلها في حال الاسرة فكم
من المعاهات أو الامراض المزمنة كان نتيجة جهل الام -
من كل هذا تعلم مقدار الرابطة الشديدة التي تلتزمك انبيهم
تفعل الخير جهد ما تستطيع للأسرة حتى تعيش أنت وإياها
في سعادة وسلام

وامية لوطنة

وطنك بلادك التي ولدت فيها وانتفعت بنباتها وحيوانها
وماثها وعشت فوق أرضها وتحت سماءها
بلادها نيطت على تمامي وأول أرض مسجلت ترابها
تحن اليها اذا ترحت عنها وتهيج أشجانك اذا ذكرت
لك وتأنس بالقرب منها وتكون عزيزا بعزتها وتألم لهوانها

حب الوطن ليس غريزيا في الانسان حسب بل يتعداه
الى الحيوان ألا ترى الطيور تحن الى أو كارهها والحشرات
الى أجعارها — وجهه كامن في النفوس يظهره ما يراه من
الحاجة الى دفع خطر داهم عنه وحينئذ يبذل العاملون النفس
والنفيس لنصرته والذود عن حريته ومجده

وإنا لنستطيع أن نخدمه على أنحاء شتى أهمها ما يلي

(١) أداء كل فرد واجبه — وهذا مظهر يشترك فيه
الناس جميعا فيعمل كل عمله سواء كان في بيته أم مع أولاده
أم مع أصحابه أم مع من يعاملونه

(٢) مساعدة المشروعات النافعة بالمال والعلم والجاء

(٣) الدفاع عنه اذا هوجم أو أريد انتقاص حريته

وذلك حال الجند في الحروب واشتداد الازمات

(٤) حبس النفس على خدمته — وتلك وظيفة الساسة

والمصلحين . فالساسة يوجهون جهودهم الى ما يرقى شأن

البلاد ويجذبون السواد الاعظم الى مافيه خير الوطن .

والمصلحون يرون موضع الداء فيعالجونه بالدواء وكثيرا ما

يلقون اضطهادا في سبيل ذلك ولكنه لن يزيدهم هذا الا
تمسكا برأيهم وذودا عنه حتى ينتصر الحق على الباطل
(٥) موازنة الصناعات القومية وتفضيلها على غيرها
وبذا نحافظ على حفظ الثروة في بلادنا

(٦) بذل الجهد في تحسين المصنوعات والمنتجات حتى
لا تقل عن نظيراتها الاجنبية -- وذلك طريق يسلكه الصانع
والمنتج

إن الامة في حاجة الى عمل أفرادها جمعا منها كان حقيرا
فهي تحتاج الى عمل الكناس في الشارع بازالتة الاقدار
والاوساخ كما تحتاج الى عمل الام بتربية بنينا والخادمة
بخدمتها والاطباء بمعالجة المرضى ورجال العلم بنشر التعليم
ولمى عمل التاجر والصانع الى غير هؤلاء ممن علا شأنهم
وجل خطرهم

وامية للناس اجمعين

دلت التجارب على ان الناس جميعا على تباين لغاتهم

واختلاف اجناسهم وألوانهم يتبادلون المنافع والمصالح فكل
أمة تؤثر في الأمم الأخرى وتتأثر بها في صنائعها وعلومها
وأخلاقها فأمة غنية بمعادنها وصنائعها يئنا أخرى غنية بمحاصلاتها
الزراعية وهي في حاجة إلى المعادن والعكس بالعكس
الناس للناس من بدو وحاضرة

بعض لبعض وإن لم يشعروا خدّم
وإذا فوجب على الفرد أن يقدم للناس من الخير أقصى ما يستطيع
جزاء وفاقا ويعاملهم برفق ولا يخاطبهم بغلظة ولا يتكبر
عليهم فيستميل نفوسهم ويجتذب قلوبهم ويكثر أصفياؤه
ويسعى الكل في منفعه . وعلى الضد من هذا إذا ساءت
أخلاقه نفر منه الناس وأبغضوه واتفقوا على أذاه واحتقاره
واهاته

إذا لم تتسع أخلاق قوم تضيق بهم فسيحات البلاد
وقال بعض البلغاء الحسن الخلق من نفسه في راحة
والناس منه في سلامة . والسيء الخلق الناس منه في بلاء
وهو من نفسه في عناء

أهم العوامل في تكوين الخلق (المنزل . المدرسة
الاصرفاء . البيئة)

ينبغي الاهتمام باصلاح ميول الناشئ وتربية قوة
الشعور بالواجب عليه وتكوين الارادة الصالحة فيه حتى
تكون جميع أعماله صالحة وذلك يكون بمراقبة أعماله أثناء
الفراغ أو العمل في المنزل أو في المدرسة وفي قيامه بالواجبات
الاجتماعية والمدنية الى غير ذلك

وحينئذ تهذب نفسه وتكمل أخلاقه وتشرف عواطفه
وتتغلب إرادته على شهواته ويؤدي كل عضو من أعضائه وكل
حاسة من حواسه وكل قوة من قواه العقلية وظيفته خير أداء
ولن يصل الى الكمال الخلق الا اذا كملت قواه الجسمية

والعقلية اذ لا يمكنه أن يختار طريق الخير الا اذا علم تمام العلم
حقيقته ولا يقدر على تحصيل العلم إلا اذا قوى جسمه وصح

بدنه

المنزل

هو أول عامل من عوامل التربية فقيه يكوّن الناشئ كثيرا من العادات ويقف على قدر عظيم من الافكار والآراء التي تدور بين أسرته فيتخلق بأخلاقهم ويشب متشبعا بميولهم ومشاربهم ومنهم يفقه بعض الصلات الاجتماعية بينه وبين بني الانسان ومالهم عليه من الحقوق وبخاصة طاعة الوالدين وحسن العشرة واحترام سواه ومراعاة حقوقه اذا كان المنزل صالحا

كما يتعلم أصداد هذه الصفات اذا فسد المنزل . لانه في هذه السن يكون سبيكة تصاغ بحسب ماتهوى وتشتهى واذا فاليت الشريف والوضيع كلاهما عظيم الاثر في تكوين الاخلاق وان اختلف أثرهما

وتأثير المنزل يكون قويا في طورى الطفولة والشباب ثم يستمر مدى الحياة ولكنه يتناقص تدريجاً متى دخل المرء في طور الحياة الاجتماعية

المدرس:

المدرسة من أكبر العوامل في تهذيب الاخلاق
وغرس الفضائل في الناشئ كلما سنحت الفرصة وذلك
باتباع الوسائل الآتية

(١) تمهد الميول النظرية والفرائز الطبيعية وتوجهها الى
ما فيه خيره وسعادته بحيث ينفقها في كل صالح مفيد . وما
مثل غرائز الطفل وميوله الا كنهر عظيم من القوة متى امتلأ
وقاض احتاج ماؤه الى منفذ يخرج منه فعلى المربي أن
يفتح له الطريق الذي يؤدي به الى سبيل الخير والصلاح
والا اتخذ له سبيلا آخر قد يصل به الى مكروه تسوء عاقبته
ويعظم خطره

(٢) القدوة الخلقية فان الناشئ يحاكي من حوله ويجعلهم
المقياس الذي يبنى عليه حكمه بالحسن أو القبح ومن ثم لا توجد
الاخلاق الحسنة الا في مدرسة أسست على دعائم الخير
(٣) تكوين العادات الحسنة كتعويده النظافة والنظام

في جليل اعماله وحقيقتها والمثابرة على العمل والاجد والاجتهاد
والشرف والامانة والمحافظة على المواعيد الى غير ذلك من
صالح العادات التي يكون لها أجل أثر في حياته المستقبلية
فالمدرسة هي التي تراقبه وتشجعه على كل عادة حسنة
وتبعده من المادات القبيحة حتى ترسخ فيه وتصير خلقا وطبيعة
ومن كل هذا تعلم صحة مقاله فرويل أحد علماء الألمان
عن مدرسته (غايتنا هي تخريج أبناء متحلين بالشجاعة والرقى
الخلقى والأدبى . مستعدين لتضحية النفس والنفيس فى
سبيل وطنهم العزيز . تخريج اناس عاملين لسعادة بلادهم . يرقون
فى العلوم والصنائع . ويطلبون العلم طول حياتهم حبا فى
تقدم بلادهم . يحبون الله ورسوله حتى يتيسر لهم الرقى الى
ملكوت الله . ويكونون ملائكة فى صورة أناسى)

الاصرفاء

الانسان بفطرته مولع بالتقليد فهو كما يقلد الازياء التي
يراهها عند من حوله فكذلك يتخلق بأخلاقهم فكثيرا ما رأينا

جبانا زُمَيْلا أصبح شجاعا كَمَيّا بمعاشرة الشجعان وبخيلا
شحيحا عاد جوادا سمحا دأَم البذل والنوال

فعليك ألا تصاحب إلا محمود الأخلاق مرضى الفعال
موفور العقل الهادى الى الرشاد من له من دينه رادع ومن أدبه
زاجر .

إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم
ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى
وتحتس من أهل السوء وتجنب أهل الريب لتكون
موفور العرض مصون الكرامة اذ تكون بعيدا عن مواطن
الظنة ولا تتسرب اليك عوامل الفساد فقد جاء فى الحديث
من حام حول الحمى أو شك أن يقع فيه

وسبيل سلامتك من قرناء السوء ألا تصافى أحدا
وتتخذ لك خليلا الا اذا بلوته واختبرت دخيلة أمره حتى اذا
وجدت فيه ضالتك التى تنشدها أقدمت على صحبته والا نأيت
عنه وأعرضت

لا تحمدنّ أمراً حتى تجربوه ولا تذمنه من غير تجريب
فحمدك المرء ما لم تب له خطأ وذمك المرء بعد الحمد تكذيب

البيئة

يهتم الاخلاقى بأحد نوعى البيئة وهو البيئة الاجتماعية التى
تشمل النظم التى تحيط بالشخص من منزل ومدرسة ومهنة
وحكومة وشعائر دينية ومعتقدات وافكار وعرف ورأى
عام ولغة وأدب وفن الى غير ذلك مما أنتجته المدنية

أما البيئة الطبيعية من هواء وضوء وجو ومعادن الى
غير ذلك فلا يهتم بها كثيرا - والانسان فى بدواته أكثر تأثرا
بالنوع الثانى منها فاذا رقى شوطا فى المدنية كان للنوع الاول
السلطان الا كبر وصار أقدر على تغيير البيئة وتعديلها وفق
هواه وللبيئة بقسميها اثران متضادان فهى كما تكون غذاء
صالحا للشخص ومن أكبر العوامل فى رقيه كالنبات فى
المنبت الصالح يربو وينبت من كل زوج بهيج . تكون

عاملا من عوامل الضعف والفناء كالنبات في المنبت السوء
لا تزال به البيئة حتى تضعفه وتميته

فان نشأ الفتى في بيئة صالحة من منزل شريف ومدرسة
راقية ورفقة مؤدبين يحكمه قانون عادل ويدين بدين صحيح
تكوّن أحسن تكوين ونبت خير منبت

وان نشأ في بيئة غير صالحة وفي مجتمع سيء النظام كان
شريرا فالأجرام من القتل والسرقة والكسل والتسول
نتيجة التربية الفاسدة والبيئة الفاسدة . وعلى الجملة فالنظام
الاجتماعى والنظم السياسية والافكار العامة تؤثر في عقول
الناسئين وتصوغهم في قالب خاص ثم يرثها الخلف من السلف

الفضيلة

للفضيلة اطلاقان في العرف الاخلاقي

(١) الخلق الطيب فالانسان الفاضل هو ذو الخلق الطيب

(٢) العمل الحسن فيقال (فضائل الأعمال) ويعنون

بها الاعمال الجليلة التى تحتاج الى كثير من المشقة والعناء

ونستحق المدح والثناء - وضدهما الرذيلة
علاقتها بالعادة - عرف بعضهم الخلق بأنه عادة الارادة ومعناه
أن الابدانة اذا اعتادت شيئاً من الخلق فما الانسان الا مجموعة
عادات فعنايته بهذيب نفسه وتربية عقله ونحو ذلك كلها عادات
تكون الشخص وتكون سر نجاحه في الحياة فمتى تعود
الانسان فضيلة ودرب عليها صارت خلقاً وربما احتاجت أولاً
الى روية وفكر ولكن بالمران تصير ملكة وخلقاً

انحراف مفهوم الفضيلة

يختلف مفهوم الفضيلة بحسب الازمنة فقد كان يفهم
من كلمة الشجاعة قديماً الصبر على تحمل الآلام الجسمية
لكنها اليوم تطلق على معنى اعم من ذلك حتى لتشمل تعبير
الانسان عن رأيه من غير أن يخشى من حوله. وكذلك العدل
قد تغير مفهومه عدة تغيرات بحسب تطور الحالة العقلية
والاجتماعية للأمم. كما كان الاحسان الى الافراد بالتصدق
عليهم يعد من أسس الفضائل قديماً ولكن اليوم رأى أهل

البر إنشاء جمعيات للاحسان يتصدق عليها المحسنون وهي التي تتولي الانفاق على البائسين بعد أن تثبت من حالهم وتعرف مقدار عوزهم . وهي لا تكفي بالبذل للمحتاج بل توجد العمل لمن لا عمل له وتنشل أولاده من بيئة الشقاء التي هو فيها حتى لا ينشئوا نشأته ولا يصابوا بمثل امراضه . وهكذا حال كثير من الفضائل قد رقيت وتهذبت برقي المدنية والحضارة

أمهات الفضائل

كثير من الفضائل يمكن أن تندرج في فضائل أعم منها الا ترى أن القناعة تدخل تحت العفة والأمانة تدخل العدل بل قد تكون الفضيلة ناشئة من فضيلتين فأكثر كالصبر فانه يتولد من الشجاعة والعفة

ويرى سقراط أن أصل الفضائل جميعا هو العلم والمعرفة وبناء علي هذا . فلا يستطيع الانسان أن يعمل الخير ما لم يعلم

أنه خير . كما أن العلم بخيريته علماً تاماً يحمله على عمله والعلم بضرره يحمله على تركه ولا أحد يعمل الشر وهو عالم بنتائحه وقد أبان علماء الاخلاق صحة الشق الاول من هذه النظرية وقالوا إنه لا يكون الانسان فاضلاً حتى يعرف الخير ويقصد الى عمله . كما برهنوا على فساد الشق الثاني وقالوا انا كثير امانعلم الخير وتجنبه وبعلم الشر ونأتيه فالمعرفة وحدها ليست كافية بل لا بد أن ينضم اليها ارادة قوية وعزيمة جافزة حتى يعمل وفق ما يعلم - وعلى رأى سقراط فليس هناك فضيلة الا الحكمة أو المعرفة وما سواها من الشجاعة والعفة والعدل فمظهر من مظاهرها

ويرى أفلاطون أن قوى الانسان متعددة واكل قوة عمل خاص فاذا اعتدلت القوة نشأت عنها فضيلة . ثم قال إن أصول الفضائل أربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل لأن في الانسان ثلاث قوى . القوة العاقلة وهي اذا اعتدلت نشأ عنها فضيلة الحكمة . والقوة الغضبية وهي اذا اعتدلت نشأ عنها الشجاعة . والقوة الشهوانية أو البهيمية وهي اذا

اعتدلت نشأ عنها العفة . واعتدال هذه الفضائل الثلاث
ينشأ العدل فهو لن يكون الا اذا تساندت هذه القوى
وأدت وظيفتها باعتدال . ويرى ارسطو أن جماع الفضائل
(تسليم زمام الشهوات للعقل ليتولى قيادها) وعليه فلفضيلة
عنصران العقل والشهوة فلا بد من شهوة لتضبط فالزهاد الذين
يقتلعون الشهوات من جذورها هم في ضلال ميين لأن الفضيلة
لن تكون فضيلة الا اذا وجدت وضبطها العقل . ولاجل هذا
كان لا بد من تجنب طرفين الأول محاولة استئصال الشهوات
والثاني إرخاء العنان لها . فالفضيلة هي الاعتدال بحيث لا تطفى
الشهوات على العقل ولا يطفى العقل عليها فتستأصل بتاتا
وعلى رأيه فكل فضيلة وسط بين رذيلتين رذيلتي الافراط
والتفريط فالشجاعة وسط بين التهور والجبين . والكرم
وسط بين السرف والبخل والعفة وسط بين الفجور والخمود
وليس هناك من قاعدة لذلك بل هو متروك لتقدير
العوامل التي تحيط بالشخص فما يعد اعتدالا في حال قديم

تطرفا في آخر . فمثلا ما يكون كرم بالنسبة لشخص قد يكون
إسرافا أو بخلا بالنسبة لاشخاص آخرين
وأيا كان الصواب من هذه الآراء فإن الفضائل لا تدخل
تحت حصر فلنذكر بعضها على جهة التفصيل

الصدق

هو الاخبار بما تعتقد أنه الحق . بأي واسطة من
وسائط الدلالة من قول أو فعل كالأشارة باليد والابناء
بالرأس ونحوهما .

والكذب الاخبار بغير ما تعتقد بواحدة من الوسائل
السابقة . وقد يكون بالسكوت فمن أجرم جرما ورأى سواه
يؤنب على ارتكابه ثم سكت فقد كذب

كما أن من عداد الكذب الاغراق والمبالغة بحيث
تجعل السامع يفهم أكثر من الحقيقة كأن تصف شيئا بالضخامة
والعظم أو الحقارة والصغر حتى يفهم السامع غير الواقع .
كذلك من الكذب أن يحذف المتكلم بمض الحقيقة ويذكر

بعضاً آخر حتى يفهم السامع مما ذكر فهما لا يطابق الواقع
أهمية الصدق في الحياة - الصدق أس من أسس
المجتمع البشرى لأنه لا بد للمجتمع من التفاهم ليحصل التعاون
ولن يتم التفاهم إلا بإيصال ما في النفس من الحقائق إلى
الآخرين . وليس للصدق معنى سوى هذا

ومما يرشدك إلى أهمية الصدق أن ما وصل إلينا من
المعارف وعليه نتمتع في حياتنا قد جاء بطريق السماع أو
القراءة - فلو كان كذبا لكان ما بنى عليه من الأعمال ضلالا
مينا وخطأ كبيرا . ولما كان اعتمادنا في الحياة على ما نجر به
بأنفسنا فقط وهو لا يغني كثيرا ولا قليلا

وهناك أصناف من الكذب وضعت لها أسماء خاصة
فمن ذلك .

(١) النفاق وهو أن يظهر الإنسان سوى ما يبطن كمن
يظهر الصداقة ويبطن العداوة

(٢) الملق أو التلق - وهو مدح المرء بما ليس فيه ادخلا
للسرور على نفسه رجاء نيل منفعة أو دفع مضرة

(٣) خلف الوعد - فمن يعد وفي نيته ألا يفي أو في نيته
الوفاء ولكنه أخلف لغير عذر أو لعذر في استطاعته التغلب
عليه فقد كذب وأضر بمن وعد إذا ضاع عليه وقتا أو أوجد
عنده آمالا كاذبة

والتزام الصدق في جميع الحالات شاق عسير يحتاج الى
عناء ورياضة نفسية وصبر وشجاعة فكثيرا ما يعرض للانسان
في أعماله اليومية دقائق يظن بعض من ينظرون نظرة سطحية
أن الكذب لا مفر منه لنجاحه فيها وأنه نافع منج له وهذا
خطأ عظيم

وقد جاء في هذا من الحكم والامثال الشيء الكثير فمن ذلك
قولهم الكذاب لص لان اللص يسرق مالك والكذاب
يسرق عقلك . وقال بعض الادباء لاسيف كالحق ولا عون
كالصدق

وقال الشاعر .

وما شيء اذا فكرت فيه بأذهب للمروءة والجمال
من الكذب الذي لا خيره فيه وأبعد بالبهاء من الرجال

العدل

هذه الكلمة ذات شقين عدل يتصف به الفرد وعدل يتصف به المجتمع . فعدل الفرد يكون باعطاء كل ذي حق حقه فاذا أخذ الانسان حقه لا أكثر ولا أقل كان عادلا فالبايع الذي يكيل للمشتري أقل مما اتفقا عليه ظالم . والذي يسرق مال غيره ويمنعه حقه ظالم

ومما يحمل على الظلم التحيز بالميل لأحد المتساويين ميلا يجعله يعطيه أكثر من حقه وينقص الآخر حقه فمثلا يجب على القاضي ألا يميز بين غني وفقير ولا بين ذي جاه وماليس له جاه اذ واجبه إنما هو تطبيق القانون على جميع الناس بالسوية . ومن دواعي التحيز الحُب أو المنفعة الشخصية أو المظهر الخارجي كفضاحة قول وأدب في الحديث الى نحو من هذا . فيجب ألا يتغلب داعي الهوى أو الميل على الانسان حتى يصد عنه سلوك طريق الحق كما أن مما يساعد على العدل عدم التحيز . واتساع النظر بفهم الامور على وجهها

اللائق بها فالقاضي يجب أن ينظر عند الفصل في خصومة
الى وجهة نظر كل فريق حتى يتبين له الرشد من الغي . والى
الحكم على العمل لا من جهة نظره الخارجى إذ قد يكون
الظاهر مما يستفز الغضب بل من جهة الباعث عليه فقد يكون
شريفا ألا ترى أن من يقسو على ابنه قصد تهذيبه وتخلقه
بفاضل الاخلاق لا يكون قد أتى أمرا إذا

وعدل المجتمع أن يكون له من النظم والقوانين ما يساعد
كل فرد على أن يرق نفسه بقدر كفاءته واستعداده . فلن
تكون الحكومة عادلة الا إذا استطاعت كل طائفة أن تحصل
على ما فيه خيرها ووسائل رقيها فطائفة التجار تحتاج الى سبل
مواصلات . منظمة من برد وسلكك حديدية ومسرة وهكذا
. وطائفة النش : تحتاج الى مدارس لتثقيفها . وطائفة ذوى
الخصومات تحتاج الى قضاة وقوانين تحفظ الحقوق وترجر
أرباب الجرائم . فالمجتمع الذى يسد كل هذه الحاجات يسمى
مجتمعا عادلا . وإن لم يقم بها سعى ظالما

وعلى كل فرد فى المجتمع أن يقوم بقسطه فى إيجاد هذا العدل

فاذا كانت بلد في حاجة الى إيجاد الكهرباء بها فعلى الصحفيين والخطباء والكتاب أن يدينوا للناس مزايا وجودها في ذلك . وعلى الاغنياء أن يبذلوا المال ثم يستردوه منجها وعلى كل ذى جاه أن يساعد بقدر ما يستطيع . وعلى من يدهم نجاهه أن ينجزوه فان لم يعمل كل ما عليه فقد أثمت الامة جمعا اذ الضرر يعود عليها كلها ألا ترى أن العضو في الجسم إن لم يقوم بوظيفته عاد ذلك بالوبال على الجسم كله .

ولما كانت الحكومة هي التي تقوم بشئون المجتمع فواجبها أن تكمل العدل فيه وتمطى كل فرد منه القسط المناسب له من الخير وهذا معنى ما نقل عن أفلاطون (إن خير حكومة هي التي تضع كل فرد من الامة في خير مكان يليق به ويستطيع أن يظهر مواهبه ثم تمدد بما يحتاج اليه لأداء ما عهد اليه) وقد دلت التجارب على أن الحكومة مهما عدلت فمن البعيد جدا أن تقوم بذلك الواجب حق القيام

(تنبيه) كثيرا ما يقولون (الرحمة فوق العدل) وهذه المقالة إنما تكون حقا اذا كان من يفعل الرحمة هو الذى يملك

حق العدل ويتنزل عن حقه في العدل رحمة بغيره فدائن له
على مدينه دين استحق أدائه ولكن وجدته معسرا أو وجدته
محتاجا الى المال لاداء بعض الاعمال الضرورية فمن الرحمة
النظرة حتى يوسر أو يسهل عليه أداء الحق

ولكنها تكون خطأ في كثير من الاحايين فمسجون
سجن ظلما ويراد العفو عنه ليس من الصواب أن يقال ذلك
لان الرحمة والعدل متفقان على أن يسجن وكذلك لص
قبض عليه وهو ينشل ساعة فأخذ يستطعف الجمهور ويعول
ويبكي ليطلبوه فنسمع منهم هذه الجملة وهذا خطأ أيضا لان
عقاب السارق من حق الامة لا من حق بعض الافراد

الاعتراف - العفة ضبط النفس

هو أن يعتدل الميل الى اللذات فيخضع لحكم العقل
والدين وهو وسط بين رذيلتين هما الشره وخمود الميل فالشره
هو الانهماك في اللذات والسلوك بها طريقا لا يذنبى . والخمود
هو الاعراض عن اللذات الجميلة النفسية والجسمية التى يحتاج

اليها البدن والنفس ويبيحها الشرع والعقل فلا يسمى الشخص
عفيفا الا اذا اعتدل في لذاته الجسمية من مآكل وملابس
ونحوها . واعتدل في انفعالاته فلم يهيج ولم يغضب لأقل الدواعي
ولم يفرط في الحزن اذا فقد عزيزا أو نزع عن وطنه الى امثال
هذا وبذلك يكون الانسان سيد نفسه لا عبد شهواته توجهه
كما تشاء . وكل الرذائل تجدد مرجعها الى عدم القدرة على ضبط
النفس ألا ترى الشراهة والطمع والدعارة والغضب والاسراف
والادمان والسخط والثروة والادمان انما هي تمام في هذه
الخلال واندفاع وراء المواطنين والاهواء لا وراء حكم العقل
وقد انقسم الناس في الحياة أقساما فمنهم من فرط في
الحصول على اللذات وزهد في الدنيا وحجته أن شهوات
النفس لانهاية لها فاذا حصلت على العاجل منها طلبت الآجل
فيصير الانسان أسير شهوات لا تنقضي وعبد هوى لا ينتهي
وأمثال هؤلاء يرون أن أرق أنواع الحياة الاخلاقية هو
ماحصل بمحاربة الشهوات فلا ينزجون ولا يأكلون اللحوم
ويعتزلون الناس جهدهم ولا يمكنون النفس من مأكل أنيق

أو ملبس جميل بل قد يبلغ بعضهم فيعذب نفسه بالقيام في
الشمس أشد ساعات الحر أو يتمرغ على الرخام في الشتاء
ويرى أن ذلك يقربه الى الله

وقد ضل أمثال هذا ضلالاً مباهاً فإن الله شرع الشرائع
لإسعاده الناس فمن عمل بها سعد في الدنيا والآخرة ومن
ظن أن يرضى الله بتعذيب نفسه فقد أخطأ فهاذا ينال الله
والناس ممن انقطع للعبادة وزهد في الحياة . يرشد لذلك أن
رجلاً ممدوح عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه قوام
صوام لا ينقطع عن العبادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من يقوم بشأنه فقالوا كلنا فقال (كلكم خير منه)

ومن الناس من أفرط في اللذات وأطلق لنفسه العنان
ورأى أنه إنما خلق في هذه الحياة ليتنعم ولم يعط العقل إلا
ليبحث عما يوصله الى اللذات فهو ينهمك في الحصول عليها
قدر ما يستطيع

وما درى هؤلاء أن هذا ضار بالفرد وبالمجموع اذ لو
فتعنا الباب على مصراعيه لكل إنسان ما انتظم شأن المجتمع

لان الشهوات متعارضة واللذات متباينة فيضطرب الامر
وتضرب القوضى أطناها في المجتمع . كما أن قوى الفرد تنهك
ويصبح عاجزا عن العمل في ميدان الحياة . من كل هذا تعلم
أن كلا الطرفين ذميم

فخير طريق في الحياة أن ينيل الانسان نفسه لذاتها
الطيبة ويعطيها ما تشتهى بشرط ألا تخرج عن حدود العقل
والشرع اذ هذا أدعى الى نشاطها وأقرب الى طبيعتها يدل
لذلك قوله تعالى لنبيه (ولا تنس نصيبك من الدنيا) وقوله
(قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق)
وطريق ذلك أن تضبط شهواتك وتجعلها خاضعة لحكم
العقل ففي ذلك سعادتك وسعادة المجتمع
ومن أهم أنواع ضبط النفس ما يلي

(١) الاسترسال في الشهوات الجسدية إذهوش ما يفسد
على الانسان حياته ويضعف روحانيته ويسوقه الى أسوأ
طريق . ومن خير الوسائل لذلك أن تتباعد عما يغريك
ويحرضك على العمل فلا تجالس المستهترين الذين لا يتحرجون

من قول المهجر والحض عليه ولا تقش أما كن اللهو غير
المحتشم لاسيما في سن الفتوة بين الخامسة عشر والخامسة
والعشرين حين تكون الشهوات نامية وأسباب الشرور
موفورة . فيجب أن يحاط الفتى برفقة مؤدبة وبيئة صالحة ويعنى
بما يوضع في يده من الكتب وما يشاهد من التمثيل وما يغشى
من المجتمعات . وأكثر من ساءت حالهم وفسدت أخلاقهم
كان في هذا الطور

(٢) الاسترسال في الفكر فلا نجعله يهيم في كل واد
ويجول في مناحي شتى إذ الفكر إذا حام حول الشرور يوشك
أن يقع فيها كما تقدم ذلك

(٣) عدم الاسترسال في الانقباض والسخط فإن ذلك
يجعل الحياة ماء أجاجا ويكون صفوها كدرا لا خير فيه حتى
لقد يخيل الى البعض أن الحياة ماهي إلا سلسلة آلام وشرور
وأكثر آلامها في لذاتها .

وأكثر ما يكون هذا عند من تضعف صحتهم وتسوء
أعصابهم أو تتوالى عليهم كوارث الزمان فتظلم الدنيا في أعينهم

ولا يرون فيها الا ما يؤلم فأحب الشعر اليهم شعر أبي الغنم
وأبي العلاء وخير نغمات الموسيقى ما يثير كامن الاشجان
ولو اعجب الحزن

وايس من شك في أن هؤلاء قد قصرت مشاعرهم
عن درك ما في العالم من لذات فمثلهم كمثل المحموم الذي يدرك
طعم العسل مرة - إذ لا يخفى أن الدنيا قد ملئت بما يسر وما
يؤلم . ولولا ما في نظم المجتمع من فساد وما في التربية من
جَنَف لكان أكثر الناس سعداء

(٤) ضبط النفس عن الغضب . فسرير الغضب يخرج
عن جادة الاعتدال لكلمة صغيرة يقال له أولتافة الاسباب
ولكن ليس كل الغضب مذموم هناك من الاحوال
ما يمدح فيه ألا تراك وقد نظرت شخصا يعذب حيوانا
أو صغيرا لم يجن جناية أو ضعيفا لا يستحق أن يعذب
ففي الحق عليك إذا أن تغضب . كما أن في الحق أن تغضب
إذا أهنت في شرفك أو في عرضك لتدرا عن نفسك الظلم
ولا خير في حله إذا لم يكن له بؤادر تحمي صفوه أن يكدره

ولا خير في جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما أورد الامر أصدر
وقال عمرو بن العاص أكرموا سفهاءكم فانهم يقونكم
العار والشنار. ولكن اذا قيست هذه الحالات بغيرها كانت
قليلة ومن ثم عد ضبط النفس فضيلة وعد الغضب رذيلة
ومن أهم دواعي الغضب الاعجاب بالنفس والصلف
فاذا سمع كلمة خيل اليه أنها احتقار ونيل من قدره حتى
لقد يستسلم لغضبه فلا يعقل ما يفعل ولا يفقه ما يقول ويظن
أنه بذلك قد حافظ على كرامته وأبقى على عرضه وهو في
الحقيقة قد طاش وحمق. والانسان حين الغضب يكون حاكما
يميل مع الهوى ويبالغ في الاشياء فلا يزنها بميزان الحكمة
والاعتدال فهو كمن يضع على عينيه منظارا مكبرا يريه
الاشياء فوق حجمها الطبيعي ويشوه محاسنها فلا يرى
فيها الا ما يغضبه ومن ثم تراه يحكم أحكاما قاسية حتى على
أخلص الناس وأصدقهم له

فعليه أن يترث في أحكامه ويعمل الروية والفكرة
ويسائل نفسه ويراجعها قبل أن يبت في أمره فلعله يكون

لما قد عمله فلان أو قاله محمل حسن أو فعل بنية حسنة
واخلاص أو لعل أكون قد غاليت في الأمر - كما يراجع
حسنات المسمى، ففعل هذه المفعولة ليست بشيء في جانب
ماقدمه من حسنات وقصارى القول أن في ضبط النفس
حفظا للصحة وسعادة وحرية وطمانينة فامثل ضابط نفسه
الا مثل الربان الماهر يوجه سفينته أنى أراد وكيف شاء . ومن لم
يضبطها كان كراكب القرس الجموح لا يملك قياده ولا يصرفه
على حسب هواه بل يميل في كل اتجاه شاء دون أن يكون
لقائده عليه سلطان

الخلق وامطالع تهذيب (١)

الخلق حال للنفس تدعوها الى أفعالها دون فكر وروية
فشخص يرى بأثسا فقيرا فيسرع لاول وهلة الى مساعدته
بدون أن يتأمل أو يتروى وآخر يرى شخصا قد أحرق به
الخطر من كل فج فيتقدم مسرعا رابط الجأش لا نقاذه .

(١) أسلفنا القول في هذا الموضوع بصورة موجزة فرأينا أن

وثالث تبدر بإدارة من صديقه ولم يكن لها متعمدا فيهبج
ويغضب دون أن يترث وينتظر ليعلم محمل كلام صديقه
وماذا يريد . فالاول من أولئك دعاه داعي الندى والكرم
ليساعد ذلك الفقير فهو جواد كريم . والثاني لي نداء الضمير
وأُسرع الى انقاذ سواه من الاذى فهو شجاع والثالث لا قول
بإدارة احتاج وغضب فكان خلق الغضب سجية وطبيعة له
وهذه الحال قسما

(١) طبيعية من أصل التكوين الخلقى كمن يجبن من أيسر
الاشياء أو يضحك ضحكا خارجا عن حد الاعتدال من أدنى
شيء يعجبه

(٢) مستفادة بالعادة والتدرب . وربما احتاجت في
أوائها الى الفكر والروية ولكن بالاستمرار تصير سجية
وخلقا

إمكان تهذيبه - يرى بعض علماء الاخلاق أن الانسان
بفطرته خيّر . ويرى آخرون ضده وأنه شرير بطبيعته
بدون تربية ولا تعليم . وعلى هذين فلا داعى الى التهذيب

والتربية لانه ان كان خيرا فلا داعى الى التهذيب وان كان
شريرا فلا فائدة في محاولة تطهيره وتخليصه من أدرانته
وبطلانها بين بالبداهة للأسباب الآتية

(١) ليس هناك حينئذ حاجة الى شرع الشرائع وتقرير ما بها
من الاحكام

(٢) لا فائدة في التكليف بالاعمال

(٣) الترغيب والترهيب عبث لا فائدة فيه

(٤) حكمة الله أجل من أن ينحصر للجنة قوما وللنار

آخريين ويربط استحقاق الأولى بعمل والثانية بعمل حين أن
الانسان ليس أهلا لاحدى الجهتين

(٥) أرشدنا صنع الله بإرسال رسله للناس لهديهم الى

الرشاد وبعدهم عن الغواية الى أن الانسان قد يكون شاطرا
عيّارا ثم يصلح حاله ويهون شره وينقلب الى خير بار

(٦) المشاهدة والنظر في أحوال الحاضرين وقراءة سير

الغابرين

ويرى آخرون أن في الانسان من يوجد خيرا وفيه من

يوجد شريرا . وهؤلاء انقسموا فرقتين فرقة تقول بأن
الانسان على ما وجد ولا يمكن تحويله بحال . ويبطل هذا
الرأى بما أبطلنا به رأى الاولين . وفرقة ثانية تقول بإمكان
التحويل فينقلب الخير شريرا والشرير خيرا بالتربية والتهديب
وهذا مذهب قريب من الصواب لانا نشاهد أن ولدين
يولدان من بطن واحد ويختلف ميلهما الى الخير والشر ثم
بالتربية يخف ضرر الشرير وبالتهديب يعرف الخير طريق
الخير ويزيد فيه . وإن فعل الخير الشر جاء مطلقا غير مبالغ
فيه . وإن جاء الخير من الشرير وقع بتكلف أو تقليد أو
ترغيب أو ترهيب

والرأى الجدير بالنظر الذى يؤيده البرهان ويساعده
الطبع ويرشد اليه العقل أن الانسان بفطرته سبيكة قابلة
للتشكل بكل شكل يراد منها ففى قابلة للخير والشر على
السواء . فأى منهما قابله صادف منه قلبا خاليا فتمكن منه .
وبالتربية يكون اما خيرا أو شريرا . وكيف ينكر هذا ونحن
نشاهد أن الفرس الجموح ينتقل الى السلاسة والانقياد

بالرياضة والبازی يتحول من الاستیحاش الى الاس
والانسان أولى منه بذلك

وعلى هذا الرأى سار علماء الاخلاق ویننوا أنواع
التربية والتهدیب وأقاموا الحجج وضربوا الامثال وضمنوها
كتبهم وجعلوها هادیا ومرشدا للناس

مقیاس الخیر والشر

أسلفت لك أن الناس قسما خیر وشریر فما مقياس
الخیر والشر . جرت العادة أن كل أمة تجعل لها مقياسا
للاطوال تعرف به قیاس الاشياء فإذا اردنا ان نعرف مقياس
حديقة لجأنا الى القصبة او المتر او نحوها فنعرف بذلك
مساحتها .

فما المقياس الذى نعرف به الخیر والشر اذ كثير ما نرى
الناس تدباین أحكامهم على الشئ فبعضهم یرى انه خیر یما
الثانی بحکم علیه بأنه شر بل قد یختلف نظر الانسان الى
الشئ فيحكم علیه بحکمين متناقضين فى زمنين مختلفين فقد

يرى فيه انه خير ثم فى زمن تال يرى انه شر فما مصدر هذا
الاختلاف

ولبيان هذا ذكر الاخلاقيون مقاييس مختلفة نتعرف
بها الخير والشر أشهرها

(١) العرف العام - ذاك ان كل أمة لها أشياء تعارفها
من أزمان طويلة وترى الخير فى اتباعها وتؤدب أطفالها على
شاكلتها حتى لقد تجعلها فى مرتبة التقديس وتعد من خرج
من سننها قد باء بانم عظيم
فالامة تأمر بأوامر هذا العرف وتنتهى عن نواهيها
بعده طرق واساليب

(١) اما بما ترويه من اساطير وخرافات تدعى بها ان
المردة والشياطين تنتقم ممن يخالفه والملائكة الابرار تكافئ
من انقاد لحكمه (ب) واما بتحبيذ الرأى العام ومدحه لمن
اتبع العرف وسخريته ممن خالفه فانك ترى عادات الامة من
ما كل ومشارب وملابس وتقاليد مختلفة - مكيئة حصينة بوساطة
استحسان الناس اياها وهزؤهم بمن يخالفونها (ج) ما يشعر

من الشعائر ويقام في المواسم من حفل وموسيقى ونحوهما مما
يحمل الناس على الانقياد بحكم العاطفة الى اتباع ذلك السبيل
دون غيره كما يشاهد في الافراح والمآتم وزيارة القبور الى
نحو من هذا

وقد كان حكم العرف قديما مطاعا لا يخالف وأمره مبرما
لا ينقض لاسيما لدى العامة فرى أحد أفراد الاسرة إذا
مرض لا يستحضر له الطبيب وليس في ذلك من بأس لانه
لا يجد منتقدا من بني قومه وإذا مات أنفق باهظ النفقات في
عمل المآتم وما شا كله لانه يرى في مخالفة هذا عارا لكل العار
ولكن قد استبان لأولى النهى أن العرف لا يصلح
أن يكون مقياسا فبعض أحكامه غير معقول وبعضه ضار أو
لا ترى الى وأد البنات في الجاهلية لدى العرب فانه لم يكن فيه
شيء من الغضاضة فلما جاء الاسلام أبان لهم عظيم جرمهم
وكبير خطيئهم . وهكذا كان الحال عند الرومان فلم يكن
هناك من بأس على الاب في أماته أبنائه أو إحيائهم . إلى
أنه لو سار الناس على سنن العرف ما تقدموا قيد شبر لانه إذا

لم يكن لديهم من الشجاعة ما يخالفون به العرف وينفرون
من القديم ويعرضون أنفسهم للاذى حتى يأخذ الجديد في
الاتشار لبقى الناس على حال واحدة أبد الدهر — على أنه
مهما كان للعرف من مساو فله كثير من القوائد فانا نرى كثيرا
من الناس امتنعوا عن الموبقات من سرقة وشرب خمر خوفا
من نقد الناس إياهم

(٢) مذهب السعادة — وأصحابه يرون أن السعادة
وهي اللذة والخلو من الألم هو غاية الانسان فالعمل يكون
خيرا بمقدار ما فيه من لذة وشرأ بقدر ما فيه من الألم والذين
ذهبوا هذا المذهب تفرقوا فرقتين

(١) مذهب السعادة الفردية — ومعتنقوه يرون أن
من واجب الانسان أن يبحث عن لذاته وسعادته ويعمل
ما يوصله الى ذلك وما ينتهى به الى تلك الغاية يكون خيرا
وما يبعده عنها يكون شرأ . وإذا تردد شخص فى أمر ما
أتركه أم يعمله فليفحص لذاته وآلامه و يوازن بينهما فما
ترجح لديه لذاته فخير وما ترجح آلامه فشر وما يتساوى

فيه الامر ان كان بخيرا فيه فالدواء المر البشع يسبب ألما لكنه يذهب ألما أكبر منه وهو ألم المرض فيكون خيرا — وقد نقد هذا الرأي بأنه يجعل الناس أنانيين لا ينظرون إلا لأنفسهم مات الناس أو عاشوا . وبأنه يكون من الغلط عد الاحسان فضيلة مع أن الناس مجمعون على ذلك . وبأنه يلزمه احتقار من راحوا ضحية منفعة الناس وفائدتهم واحترام من ضحى بسعادة الناس لمصلحته وليس هناك من قائل بذلك (ب) مذهب السعادة العامة — يرى من يدينون به أن سعادة المجتمع . هي التي يجب أن تكون مطمح النظر لان الفضائل ماعدت كذلك الا لانها تنتج للناس لذة أكثر مما تنتج ألما ولو آلمت بعض الافراد وبضدها الرذائل فمثلا الشجاعة فضيلة لانها تزيد سعادة المجتمع اذ أننا نحتاج الى من يدافع عن الوطن ممن يغير عليه ويدافع عن أنفسنا وعن أعراضنا وفي هذا سعادة للجميع ولو راح العامل ضحية عمله ورشوة القاضي رذيلة لانها تجعله يطلق سراح المجرمين فيعيشون في الارض فسادا فتكثر المظالم وتضيع الحقوق وفي هذا ضرر

للمجتمع وإن انتفع القاضي بتلك الرشوة - وقد عيب هذا الرأي بأن فيه خطأ من كرامة الانسان اذ البحث عن اللذات والفرار من الآلام فقط أليق بالحيوان الاعجم منه بالانسان وبأن هذا المقياس ليس محدودا وفيه مجال كثير للخلاف باختلاف الاشخاص اذ قد يرى أحد في عمل لذة كبيرة ويرى آخر فيه دونها فقد يسمع أحد صوت الموسيقى ويطرب منه طربا عظيما يضحك أو يبكيه حين أنا نجد آخر لا ينفعل ولا يتأثر بهذا الصوت بتاتا فكيف اذا نجعل اللذة مقياسا ونحكم على الشيء بمقدارها ونقول هذا خير أو شر

ومع ما في هذا المذهب من النقد فانه أكثر المذاهب انتشارا في العصر الحاضر وله أثر كبير في تنبيه العقول الى البحث عن سعادة المجتمع بقدر ما تستطيع وعليه بنى التشريع فقد لاحظ المشرعون خير الناس لا خير فرد مخصوص فما يسبب ألما للمجتمع عدوه جرائم وفرضوا فيه العقوبات المختلفة

(٣) مذهب اللقائنة (الفراصة وسرعة الفهم) أصحابه يرون أن في الانسان قوة غريزية بها يميز بين الخير والشر

عند النظر الأولى. وباختلاف اليبثات والعصور قد تختلف هذه القوة - فعند النظر الى أمر ما يجد لديه إلهاماً يعرفه حقيقة فيحكم عليه بأنه خير أو شر ومن ثم ترى الناس قد اتفقوا على عد الصدق والشجاعة والكرم وأمثالها فضائل وعدا ضدادها رذائل - وبناء على هذا الرأي فالفضائل فضائل في كل حين وليست تابعة لغاية اذا وصلنا اليها كانت خيراً والا كانت شراً كما في الرأيين السابقين . وبأن الفضائل من الأمور البديهية التي لا تحتاج الى برهان فمن المحال أن نرى يوماً ما أن ضدها خير وأنها شر . وبأنه يجب أن يكون الانسان أرقى من أن يسير وراء اللذة والألم بل يجب أن نعمل الخير لانه خير وان ضحيننا باللذة والسعادة وممن ذهب هذا المذهب طائفة من الفلاسفة القدماء يسمون (الرواقيين) وهم أتباع زينون الفيلسوف اليوناني وقد كان يعلم أصحابه في رواق مزخرف بأثينا . وهؤلاء لا يجعلون همهم أن يكونوا أغنياء أو متلذذين بل المهم أن يكونوا حكماء أفاضل في أى حال كانوا من فقر أو غنى - وقد عيب هذا الرأي بأن الناس قد يختلفون

في الحكم على الأشياء اختلافا عظيما حتى لقد يصل الخلاف الى البديهيّات فقد كانوا في اسبارطه يعدون السرقة عملا شريفا . كما يعدون القتل في (داهومي) واجبا من الواجبات فكيف حينئذ يقال إن الفريزة كافية في معرفة الخير والشر

الاذواق

هي ميول الى استحسان بعض الاعمال واستهجان بعض آخر ومنشؤها عادات درج عليها الناس جيلا بعد جيل .

وهذه الميول تختلف اختلافا عظيما باختلاف الامم والأزمان فهي في الشرق غيرها في الغرب بل هي في أمة غيرها في أخرى تتأخها وتلاصقها

تكوينها

تتكون الاذواق بالمواضعة والاصطلاح فما يستحسنه كبراء أمة وذوو الزعامة وقادة الرأي فيها يقدم فيه دهاؤها